

✿ الغرب الإستعماري في فكر مالك بن نبي

✍ محمد عبد الحليم بيوشي

أستاذ مكلف بالدروس بكلية العلوم الإسلامية

بدأ اهتمام مالك بن نبي رحمه الله بالوجهة السلبية للغرب منذ البدايات الأولى لانفتاح الوعي عنده، حيث عاصر في بداية القرن العشرين ذلك التغير الهائل في تركيبة المجتمع الجزائري الذي أرهقته السنوات السبعون من المقاومة المستمرة للمستعمر الفرنسي .

تلك السنون التي حملت معها المجاعات والأوبئة والجفاف ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ومكنت التخلف والجهل والشتات من الإقامة الدائمة بين الجزائريين الذين تناقص عددهم من عشرة ملايين سنة⁽¹⁾ 1830 إلى ستة ملايين في نهاية القرن التاسع عشر .

كما ساهم الانهيار المريع للعائلات التقليدية والمتوسطة في ترسيخ تلك الصورة البائسة لأغلبية المجتمع الجزائري الذي باشر فقدان وعيه الثقافي بعد استلاب أسيائه الاقتصادية .

حيث تشتت الأسر وانمحي التعليم وضمرت الفلاحة وعادت الجزائر إلى العصور الرعوية، وخير دليل على ذلك ما حصل لعائلة مالك بن نبي ذاته، حيث يحكي في مذكراته مايلي: "فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاكه وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب تعبيرا عن رفض أهالي البلاد معايشة الاستعمار"⁽²⁾ .



وخلال تكونه الفكري التالي لحياته الدراسية والذي صاحب حياته العملية كان للمعامل الإستعماري دوره في هذ التكوين، فقد تشكّل لدى أستاذنا موقف فكري واضح تجاه الغرب المستعمر لغيره، مما يمكن أن يقود إلى القول بوجود نظرية واضحة للاستعمار عند مالك بن نبي.

هذه النظرية نجدها مبثوثة ببعض من تطبيقاتها في كتبه التي كتبها وألفها طوال سني حياته أي من تأليفه كتابه الظاهرة القرآنية سنة 1946 حتى رسالته الأخيرة: دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين سنة 1972.

هذه النظرية بدأ نشوءها في وعي مالك بن نبي من صغره ومن ليالي صباه حيث كان لحكايات جدته لأمه زليخة التي روت له فظائع دخول الفرنسيين لقسنطينة سنة 1837⁽³⁾ مما حشد مخيلته بصور مشينة عن المستعمر الفرنسي، وقد غذى هاته المخيلة فيما بعد الأوضاع المزريه التي عاشتها عائلته في مدينة تبسة، كما نماها أيضا قراءته الواسعه للفكر الغربي وتاريخ الغرب، بل انه يذكر أنه يدين في تغيير مساره الفكري إلى كتاب مهم كان دافعا لتأسيس نظريته حول الغرب الإستعماري وهو كتاب (الإخفاق الأخلاقي للسياسة الغربية في الشرق) للمفكر المصري أحمد رضا.

كما عمّقت الأحداث العالمية في الخمسينات والستينات وكذا الثورة الجزائرية تلك النظرية حيث نجد تركيزا على الناحية التطبيقية منذ خروج مالك بن نبي إلى مصر تاركا فرنسا وماكيناتها الإستعمارية الخائفة للفكر الشاذ عن النغمة والجوقة الإستعمارية الإستغلالية.

ولنا أن نتلمس أطراف هاته النظرية في كتبه التالية:



أ. عبد الحليم بيشي

1- شروط النهضة: وقد أصدره سنة 1947، وهو أهم دراسة لملك بن نبي رفعته إلى مصف الفلاسفة، وقد وصفها زميله الدكتور عبد العزيز الخالدي بأنها أنشودة بهيجة يحيا بها كوكب المثالية الذي يسجل فجر الحضارات من العصور المظلمة⁽⁴⁾.

وقد تناول فيها نظرية القابلية للاستعمار والمعامل الاستعماري.

2- في مهب المعركة: وهو الكتاب الذي نشر سنة 1961 وقد تضمن المقالات التي كتبها في صحيفتي الشباب المسلم والجمهورية في سنة 1954 مثل: سيكولوجية الاستعمار، الاستعمار يفتح وجهة ثالثة في التاريخ، الفوضى الاستعمارية. وهي المقالات التي تعد إرهابا للثورة الجزائرية.

3- وجهة العالم الإسلامي: وقد أصدره سنة 1954 بباريس، وتناول فيه مأساة جمود العالم الإسلامي، كما شرح فيه بإسهاب نظرية القابلية للاستعمار ومشكلة إنسان ما بعد الموحدين، وطوّف فيه بمشكلات العالم الإسلامي المكبل بأغلال الغرب الاستعماري⁽⁵⁾.

4- فكرة الأفروآسيوية: وهو الكتاب الذي ألفه بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ سنة 1955، وحمله من باريس إلى القاهرة، وأهداه إلى الرئيس جمال عبد الناصر، وقد تطرق فيه إلى فكرة التعاون بين البلدان التي بدأت تتحرر من رقة الاستعمار الغربي من أجل خلق مجال جديد بعيد عن تأثيرات عالم القوة والصناعة والعقلية الغربية الاستغلالية.

5- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة: وقد نشره سنة 1961 وعرض فيه أساليب الاستعمار في مواجهة الأفكار الحية والقوة النهضة، كما عرض فيه تجربته الشخصية في تلك التفاعلات⁽⁶⁾.



أما الكتب الأخرى التي لم تقع تحت أيدينا والتي يظهر أن فيها شيئا مهما من نظرة مالك بن نبي للظاهرة الاستعمارية التي قادها الغرب الأوروبي فهي :

- كتاب: النجدة الشعب الجزائري يباد، نشره بمصر سنة 1957، وقد أصدره للتعريف بالقضية الجزائرية وجرائم الاستعمار⁽⁷⁾.

- كتاب: الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم، وقد صدر عن دار الجهاد بمصر سنة 1960.

- كذلك المقالات الموثقة في كتبه الأخرى مثل: مشكلة الثقافة والقضايا الكبرى، وآخرها ما أصدره السيد نور الدين بوكروح من مقالات بعنوان: من أجل تغيير الجزائر، والتي عرّبها الأستاذ عمر كامل مسقاوي في كتاب أصدره بعنوان، من أجل التغيير سنة 1995.

ولعل الكتاب المفقود من مذكراته وهو الجزء الثالث من مذكرات شاهد على القرن، وهو المتعلق بالثورة الجزائرية ومن المؤكد يكون مليئا بالتطبيقات لنظريته حول الاستعمار .

لقد شغل مالك بن نبي طوال حياته بدراسة الغرب والفكر الغربي، وكان ملتزما بقضايا المستضعفين، وخاصة أمته الجزائرية والإسلامية وكذا شعوب العالم الثالث الواقعة تحت النحر الغربي، ولهذا غاص في الأعماق لكشف النفسية الغربية التي تلبست بلبوس الاستعمار طوال القرون الثلاثة الأخيرة.

ولهذا كان الأستاذ مالك بن نبي شاهدا على نهاية الاستعمار التقليدي في القرن الماضي

وفي هذا يقول: إن الاستعمار هو أفظع تخريب أصاب التاريخ .



أ. عبد الحليم بيشي

ويقول أيضا: إن الاستعمار مرحلة من مراحل التطور الإنساني قد فات أوانها فكل محاولة لإطالتها أوتكرارها تأخر وعودة إلى الماضي، ويصير الاستعمار يقاسم مصير اختراع استنفذ أغراضه.

وسوف نقوم في هاته الورقة بتشريح النفسية الغربية الاستعمارية في الفكر البنابي متبعين الخطوة التالية:

- 1- الجذور النفسية للغرب الاستعماري .
 - 2- الجذور التاريخية-الإمبراطورية الرومانية.
 - 3- الجذور الدينية -المسيحية والصليبية.
 - 4- الجذور الكمية والنزعة العالمية للغرب الاستعماري.
 - 5- الآثار التخريبية للاستعمار على الغرب .
 - 6- الغرب من احتكار الراية إلى احتكار السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل.
- 1- جذور النفسية الغربية الاستعمارية:**

اختلفت القراءات لظاهرة الغرب الاستعماري بين النظريات الاقتصادية والحضارية والسياسية والدينية، وأغلب القراءات كانت متحيزة لأنها صادرة عن ذات العين الغربية التي حكمتها المفاهيم الاستعلائية الخاصة بالمركزية الغربية في القرون الثلاثة الأخيرة، تلك القرون التي شهدت الصعود الحضاري لأوروبا وامتلاكها لנاصية العالم. لقد اهتم مالك بن نبي بالنفسية الغربية وبالدراسات الغربية في هذا المجال، وقبل ان يعرض علينا مفهومته لظاهرة الغرب المستعمر عرض علينا في كتابه في مهب المعركة نظرية من الذات الغربية للسيد منوني المهتم بعلم نفس سكان ما وراء البحار⁽⁸⁾ ؟ .



حيث يعتبر المسيو منوني: أن الموقف الإستعماري ينشأ كل مرة ينعكس فيها (أنا) الأوروبي خارج إطار أوربا، أي كل مرة يقع فيها اتصال بين أوربا والأهلي بأن له مركب تبعية. فالمجتمع التابع المقسم إلى ذرات ينشأ مع الاستعمار صلة نفسية اجتماعية وعنده أن هذا المركب ينشأ من شعور الطفل بعجزه أمام السلطة الأبوية ويخشى حالة الضياع فتنشأ التبعية العائلية وهذه الحالة السيكولوجية تقود إلى علاقة عمودية وهي حماية الأجداد المهيمنة.

وهذه الحالة السيكولوجية التي تشعر الفرد بالتبعية دوما لغيره أبا كان أوجدا مهيمننا أو طوطما أو أبيض مستعمرا، إنما كان منشؤها العجز النفسي أو الثقافي للمستعمر (بفتح الميم) ذلك العجز الملتصق: "بالأغوار النفسية البعيدة عن الشعور حيث تمتزج بصورة الجد الطوطمي"⁽⁹⁾.

هذه الاعتبارات سوف تكون مقدمة لما سماه بالموقف الاستعماري، حينما يدخل المستعمر ويبدد شبكة الصلات التقليدية التي تربط الأهلي بالوسط الذي يعيش فيه كاشفة له عدم جدواها أمام صلات جديدة يفرضها المستعمر في صورة حماية على البلاد المحتلة، ويتقبلها ابن البلاد بوصفها تعويضا عن الصلات التقليدية التي كانت ترتبط بها راحته⁽¹⁰⁾.

إن هذا يذكرنا بتلك النظرية العنصرية التي ترى بأن "ذوي الجماجم القصيرة، أي غير الآريين، يفتقون كل صباح للبحث عن سادة جدد لهم، لأنهم عبيد بالولادة، وهي غريزة يشترك فيها دوو الرؤوس القصيرة والكلاب"⁽¹¹⁾.

وفي مقابل هذا الطفل المتقبل بالطبيعة والنشأة للموقف الاستعماري فإن الطفل الأوروبي، وبالعكس من الأول يستطيع أن يواجه حالة الضياع (الاستقلال) ويتغلب عليها لأنه يتقبل أخطار اللاتبعية .



أ. عبد الحليم بيشي

ويرجع منوني بهذه النفسية إلى أب الفلسفة الحديثة ديكارت⁽¹²⁾ الذي استطاع أن يتخلص من رعاية الأمومة (الفلسفة القروسطية الموروثة في الأديرة والكنائس) وحطم بشكه ومنهجه ظلمات القرون الوسطى. واخترع وسيلة الاهتمام في غابة الشك، هذا المنهج الديكارتي الذي أتاح للأوروبي أن يهتدي إلى تقديس الوسائل، محولا ثقته من عالم الطاقات الخفية إلى عالم الطاقات الظاهرة- technique⁽¹³⁾

وبناء على تحطيم مركب التبعية استطاع الأوروبي أن يغادر أحضان الأم أوروبا ليشق البحار ويؤسس هاته الحالة الاستعمارية التي تعود إلى شخصية الأوروبي ذاته. هذه النفسية الاستعمارية، كما يقول منوني، إن أوربا-وخضوعا لسحر العالم البدائي- تحلم بعالم خال من البشر وهذه النزعة ضد البشر هي التي تحدد الرسالة الاستعمارية في جذورها النفسية.

إن مالك يعترض هناك على هذه النظرية (عالم بلا بشر) حيث يقول: أليس من الأصح أن نسميها الرغبة في عالم بلا شهود.. في المكان الذي لا تدركه فيه سلطة القوانين والأخلاق والعادات⁽¹⁴⁾.

هذه النفسية التي تجعل الغربي -المكون بهذه النزعة- خارج حدوده لا يكون انسانيا بل أوربيا وغيره مستعمرين وتنشأ هذه الحالة الاستعمارية **situation coloniale**، وهذا العقل الاستعماري الذي جر الولايات على العالم، وسببت له هذه النزعة الاستعمارية مزيدا من التأخر وهي تصيح: إلى الامام.. إلى الامام، ولكن كلما كانت تظهر محاولة للتقدم الفعلي في إفريقيا أو آسيا كان الفيتو⁽¹⁵⁾ يوقفها بطريقة أخرى⁽¹⁶⁾ إن الذي يسجل التأخر الخلقي للضمير الخلقي الغربي الذي يجعل الإنسان شخصين أو آدميين أوروبي وغير أوروبي هي النظريات العنصرية والعرقية ونظريات البقاء



وتطور الأنواع التي حكمت العقل الأوروبي إلى الراهن الحاضر، رغم محاولات التوبة غير النصوح التي تظهر في المحافل والمنظمات الدولية لحقوق الإنسان والطفل والعفو والبيئة والمساواة... إلخ.

إن أوروبا في القرون الوسطى كانت محكومة بالعقيدة التوراتية القائمة على وحدة الجنس البشري الذي يعود إلى أصل واحد هو آدم عليه السلام. إلا أن هاته العقيدة حورت وحوّرت لأسباب دينية وسياسية كما يقول غريغوار مرشو، وذلك بالنظر إلى رغبة أوروبا في عزل إنسان ما وراء البحار لتبرير السيطرة عليه واستعباده⁽¹⁷⁾.

إلا أن الحقيقة أن التوراة ذاتها حملت بذور التفرقة بين الأجناس في إصحاتها وأسفارها، حيث نجد نصوصا صحيحة في سفر التكوين حول مباركة نوح عليه السلام لسام ويافث ولعنه لحام وذريته، ولنا أن نقل هذا النص: "واشتغل نوح بالفلاحة وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خيمته فشاهد حام أبو الكنعانيين عري أبيه، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجا، فأخذ سام ويافث رداءا ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقري إلى داخل الخيمة وسترا عري أبيهما من غير أن يستديرا بوجههما نحوه فيصرا عريه. وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به ابنه الصغير قال: ليكن كنعان ملعونا، وليكن عبد العبيد لإخوته، ثم قال: تبارك الله إله سام، وليكن كنعان عبدا له، ليوسع الله ليافث فيسكن في خيام سام وليكن كنعان عبدا له"⁽¹⁸⁾.

ومن المعلوم أن النص يبرر الحرب الوحشية التي قادتها قبائل بني إسرائيل ضد الكنعانيين سكان الشام وفلسطين، كما نعلم أيضا أن التفسيرات العرقية الكنسية تجعل حام أبا للسود والقبط والهند والبربر.

وعليه فإن النفسية الغربية دينية وعلمانية حملت في جذورها مفاهيم التراتب البشري.



أ. عبد الحليم بيشي

وعلى هاته التفرقة بين البشر قامت العلوم الإنسانية التي وصفت بأنها حيادية عالمية شبيهة بالعلوم الطبيعية⁽¹⁹⁾.

هاته العلوم التي بررت استبعاد الآخر بحجج كثيرة: "التأخر، اللامبالاة، البدانة، السحرية، اللاعقلانية، التبعية... إلخ، والحجة الأخيرة هي عدم قدرته على بناء الديموقراطية وتحرير نفسه إلا بمساعدة ومباشرة من الغرب نفسه"⁽²⁰⁾.

ونحن نجد تصديقا لهذا في مقالات بناء الفلسفة الحديثة الذين أسسوا على نظريات أرسطو في الكيوف الطبيعية التي تجعل شعب الإغريق جامعا لذكاء الآسيويين وشجاعة الأوروبيين نظرا لتوسط جغرافيته⁽²¹⁾. كما بنوا ذلك أيضا على نظريات الفيلسوف أبقراط القائلة بتأثير المناخ في مسلكيات الشعوب الأوروبية والآسيوية.

هذا على الرغم من أن الدراسات المعاصرة تنسف كل مقولات المعجزة الإغريقية، حيث تعود هذه الدراسات بالفلسفة والعلم اليوناني إلى جذوره الشرقية المصرية والعراقية. وتكفي الإشارة إلى دراستين هامتين هما:

-الثرث المسروق للمفكر الأمريكي جورج جي. إم. جيمس.

-أثينا السوداء أو الجذور الإفريقية الآسيوية للحضارة القديمة للمفكر مارتن برنال.

إلا أن فلاسفة عصر الأنوار ومع الاندفاع التوسعي لأوروبا رسخوا مفاهيم تقطيع الجنس البشري وتمايظه العرقي والنفسي وحتى البيولوجي والفسولوجي.

فمن فلاسفة عصر الأنوار نجد مونتسكيو⁽²²⁾ يقول: "إذ أن الحرارة الشديدة تفرز قوة وشجاعة البشر، وثمة في المناخات الباردة قوة ما للجسد والروح تجعل البشر قادرين على أعمال شاقة، كبيرة، جسورة، في آسيا الشعوب المحاربة والنشطة تلامس مباشرة شعوبا مشخنة كسولة خجولة، ينبغي أن يكون هذا فاتحا وهذا مفتوحا"⁽²³⁾.



وينفس المنطق التراتبي القائم على المناخ والجغرافيا الذي يبرر عمليات الغزو والاستعمار يقف فيلسوف أوروبا وقلعتها المثالية هيغل⁽²⁴⁾ مركزا على تبعية باقي العالم الواقع تحت تطرف الحر والقر الذي يفقده حريته، ويجعل هيغل مصدر صناعة التاريخ والحضارة مقصورا على المناطق المعتدلة في الأرض وهي أوروبا، ثم يزداد تطرفا فيقصرها على الأمة الجرمانية، وهي مرحلة شيخوخة التاريخ بالمفهوم العقلي حيث التجسد الكامل للنضج والقوة بسبب الانسجام الداخلي⁽²⁵⁾.

وعليه يؤكد هيغل قبل قرنين: "أن تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب، لأن أوروبا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق، وعليه فإن أسيا هي بدايته، فتاريخ العالم نوع من محاكاة رمزية لحركة الشمس يبدأ من الشرق وينتهي بالغرب"⁽²⁶⁾.

وقد ازدادت عقيدة تفوق الجنس الأبيض ترسخا مع بروز نظريات البقاء وتطور الأنواع مع ولتر باجهوت⁽²⁷⁾ وتشارلز داروين [1809-1882] صاحب كتاب "أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي" الذي ظهر سنة 1859 وكتاب "أصل الإنسان" الذي ظهر سنة 1871، ومع فردريك نيتشه [1844-1900]⁽²⁸⁾.

وهكذا أثمرت هاته النظريات العرقية والعنصرية تلك الحالة الاستعمارية للآخر غير الأبيض القاصر التابع القابل للاستعمار، كما كشفت تلك الحالة النفسية عند الغربي الذي لا يرى نفسه إلا مركزا والآخر أطرافا له، مع العلم أن هاته النظريات لم ترج إلا عند اشتداد المد الاستعماري، أما أيام الضعف والانقسام الذي عاشته أوروبا في القرون والوسطى فقد كانت الأدبيات عن الآخر شيئا آخر. كما أن استنطاق التاريخ يكشف أن السيادة وصناعة الحضارة ظلت قاصرة على الشرق ثلاثة أرباع الزمن المعروف.



أ.عبد الحليم بيشي

إن الذي احترق بشظايا هاته النظريات وبتلك النزعة الاستعمارية الغربية هي أوروبا ذاتها التي تلظت بحربين مدمرتين.

إنها الرغبة في عالم بلا شهود على الجريمة كما يقول مالك بن نبي في نقده لهاته الجذور النفسية للعام الغربي، التي تجعل الماكينة الاستعمارية وحدة متكاملة من أدغال إفريقيا حتى جامعات فرنسا ومقرات إدارتها، وهو هنا يسوق لنا قصة مثيرة يصف فيها النفسية الاستعمارية التي تعمل على تحطيم المستعمر في كل ما يملك وما يطمح، عندما منع من الدخول لمعهد الدراسات الشرقية أو فتح مشروع للاستثمار في الطرقات من طرف مدير الطرق في تبسة الذي نصحه ببيع وسائله للمعمرين (كابون وبيري)، يقول بن نبي: "واليوم بعد أربعين سنة أرى بكل وضوح أن الرجلين المدير المتواضع لشؤون الطرق بتبسة والمدير المحترم لمعهد الدراسات الشرقية، إنما يتكلمان لغة واحدة (لغة الإستعمار)، فهذا حرمني من أن أصبح مقاولا في مصلحة الطرق، وذلك حرمني من فتح مكتب محاماة في تبسة بعد سنوات الدراسة في باريس" (29).

إن هذه النفسية وهذه الماكينة التي نبت فيها الأوروبي بدءا من مرحلة الطفولة تخلق منه امراء مستعمرا، وما التاريخ منذ قرن من الزمان إلا ملحمة الفكر الاستعماري، فالطفل الذي يولد في أوروبا يشعر في استقباله للحياة كأنما سبقت تهيئته للإستعمار فإذا ما أخطأ وجهته لم يصرفه ذلك عن تغذية ذهنه بأفكاره كما يتغذى هو من خيرات المستعمرات (30).

2- الجذور التاريخية -الإمبراطورية الرومانية.

حيث عاشت الإمبراطورية الرومانية التي سيطرت على غالب العالم القديم وأتاحت لأوروبا فرصة الإطلال على الحضارات الشرقية القديمة، وتحقيق الهيمنة



السياسية على البحر المتوسط ومد الحبال إلى الشعوب الشرقية مستثمرة ومعمقة البذور الاستعمارية التي زرعها الإسكندر المقدوني فيما عرف بالحضارة الهلينية .

هذه الإمبراطورية جعلت من مشاريعها تحطيم كل قوة خارج روما، حيث كان الناس صنفان رومان وبربر، وكل الشعوب غير الرومانية هي شعوب بربرية، فروما هي مركز العالم الذي تجبى إليه ثمرات كل شيء، حتى وسائل التسلية تكون من البشر الذين يساقون إلى مصارعهم بأنياب ومخالب أسود الرومان في العصريات الخميرية. هذه الإمبراطورية جعلت في مشاريعها تحطيم كل قوة خارج روما، وخير دليل على هذا ذلك الشعار الذي قاد الحروب البونيقية الأولى والثانية (لابد من تحطيم قرطاجة). وهو نفس المنطق الذي يحكم الغرب وأمريكا اليوم: لابد من تأديب كل الدول المارقة.

3- الجذور الدينية -المسيحية والصلبية.

إن المسيحية التي حملها تلاميذ المسيح من أرض فلسطين ونشروها في ربوع أوروبا الرومانية والتي قابلتها السلطات الرسمية بأنواع الرفض والإضطهاد، سرعان ما تحولت إلى عامل نمو هام دفع بأوروبا إلى الخروج من قوقعتها وحمل هذه الرسالة الدينية إلى الشعوب الجرمانية الوثنية، لأن المسيحية التي حملت رسالة أخلاقية كانت إحدى البناءات الأساسية للحضارة الغربية، فأوروبا التي كانت لديها مشاريع توسعية استعمارية (تعود في جذورها إلى الرومان) تحاول كسب شرعية هذه المشاريع عن طريق المسيحية وخدمة الأخلاق والسلام
:"وفي هذا المجتمع أودعت المسيحية خميرة التوسع الأخلاقي الذي استخدم فيما بعد دريعة للحروب الصليبية وللمشاريع الاستعمارية"⁽³¹⁾.



أ. عبد الحليم بيوشي

وهكذا حملت أوروبا المسيحية كدين أوحده موجب للخلاص وجنات الخلود، وسارت أساطيلها تتبعها أو تتقدمها جحافل القساوسة لاستنقاذ الكافرين من ظلمات الوثنية لإدخالهم في مملكة السماء.

وعليه فإن أوروبا تحملت لوحدها هم انتصار المسيحية التي شكلت أوروبا الجديدة التي امتزجت فيها الأعراق (الجرمانية، الأفرنجية، السلتيّة...) وهي الروح التي جعلت أوروبا تخرج للعالمية، فقد جعلتها تنشد إلى هذا التوسع العسكري، بحجج نشرها، وهي لا تنسى صيحات قديسيها ورهبانها تحذو جيوشها لاستعادة مملكة السماء، مما وسم أواخر القرون الوسطى والعصر الحديث كله بجملة من الحملات الصليبية امتدت طولا وعرضا في البحر المتوسط وفي بلاد الأندلس والشام والبلقان. وهذه النزعة التي جمعت ملوك أوروبا وأباطرتها وأخرجت الرعاة والفلاحين، هي التي قادت الاستعمار الحديث في حملة ثانية لإيقاف الإسلام عند حده كما قال الوزير الفرنسي بيدر: "إنني لن أترك الهلال ينتصر على الصليب"⁽³²⁾.

فالآثار النفسية لصيحات القديسين، والبابوات التي تجعل الحروب حروبا مقدسة ينال بها أصحابها ملكوت السماوات كانت حاضرة في الموجة الاستعمارية الأخيرة، ولا ننسى صيحة الجنرال اللبني في الحرب العالمية الأولى عند دخول القدس: "الآن انتهت الحروب الصليبية".

أو ما قاله الجنرال غورو عند احتلال دمشق وقد وقف على قبر صلاح الدين الأيوبي: "ها قد عدنا يا صلاح الدين".

4- الجذور الكمية والنزعة العالمية للغرب الاستعماري:

كل حضارة تسعى في تطورها نحو العالمية، وتجاهد لهيمنة أفكارها والسيطرة على المجالات الحيوية وهو أمر مشهود على كل حضارة نامية، ولكن هذا النزوع نحو



العالمية الذي حذت إليه أوروبا، حذت إليه من دون سلطة أخلاقية، عندما هاجت أساطيلها لإكتشاف العالم الجديد، ثم الموجة الإستعمارية الأخيرة، ووصولاً إلى المنظمات العالمية الحالية، حيث ارتبط هذا النزوع العالمي عند أوروبا بالتعالى والقوة، وفي هذا يقول بن نبي :

"وإن إرادة الكبار بما تتمتع به من حق الإعتراض -الفيديو- فى المناقشات الدولية لتعد فى الواقع المضاد لاطراد التاريخ تياراً مضاداً محملاً بكل العناصر السلبية التى تملكها حضارة ،لم تستطيع التغلب على مصاعبها الأخلاقية"⁽³³⁾.

هذه المصاعب الأخلاقية التى ربطت كل النجاح فى أوروبا بالوهم الميكانيكي لأن العقل الغربى وثيق الصلة بالنظام الثقافى فهو أسير العبقرية الصناعية مادام يطبق نتائجها هذه على المجال الأخلاقى لينسب النجاح المادى الى فضيلة خلقية⁽³⁴⁾.

هذا العوج الخلقي هو الذى رسم نظرات التعالى وسيادة الجنس الأوروبى وأورثنا نظرية الفصل بين الأجناس، وأن الجنس الأبيض خلق للسيطرة، وفق ما كتب رينان عام 1871 حيث قال: "جنس واحد يلد للسيادة والأبطال هو الجنس الأوروبى، فإذا ما نزلت بهذا الجنس النبيل إلى مستوى الحضائر التى يعمل فيها الزنوج والصينيين فإنه يثور"⁽³⁵⁾.

وهذه النزعة الفردية أو الررحية الإستعمارية الخالصة التى تجعل الأوروبى خارج أرضه ليس إنساناً بل أروبياً وغيره مستعمرين، وهذا الانفصال النفسى الذى جعل أوروبا صاحبة الكلمة العليا هو الذى يفسر لنا سياسة العالم من أربعة قرون كما يفسر لنا الإختلال الراهن فى أوضاعه السياسية⁽³⁶⁾.

إلا أن هذا النزوع نحو العالمية قد لوثته نزعة كمية شنيئة، فقد خرج العالم الأوروبى من العصور الوسطى بعد الحروب الصليبية مهزوماً، وعادت سفنه وجيوشه تجر



أ. عبد الحليم بيشي

معها قلوبا حانقة ونفوسا موتورة من حضارة الشرق الذي يسيطر على خطوط التجارة العالمية .

إلا أنه بدأ يفيق بعد النصر الذي حققه في الأندلس فعاد ليعرف نفسه وغيره عن طريق الكشف الجغرافية ولاحت بواد نهضة أثمرت قوة صناعية في كل المجالات⁽³⁷⁾، ولم يصل القرن التاسع عشر حتى كانت أوروبا غارقة في معجزات الميكانيكا.

وهكذا بدأ العصر المركنتلي⁽³⁸⁾ حين بدأت السفن الشراعية الكبرى تغزو أمريكا الجديدة وتبيد الهنود وتقوم بتهجير السود من أفريقيا، فانفتحت أسواق جديدة، وقامت أوروبا بالالتفاف على العالم الإسلامي واحتلال موانئ شرق إفريقيا، وكذا الاحتلال المتدرج للهند عن طريق شركة الهند الشرقية، ثم محاصرة الصين بحروب الأفيون، وتحولت القارات الأربعة (أمريكا، إفريقيا، آسيا، أستراليا) إلى مخزن يشبع النزعة الكمية لأوروبا⁽³⁹⁾.

وفي هذا الصدد يقول فيلسوفنا: "فازدادت مصادر الطاقة وبدأت الأنماط التقليدية الإقتصادية الزراعية تزول ليحل محلها العقل الصناعي الميكانيكي مما أدى إلى نزعة الأرقام- الكم- وبدأت الجوانب الروحية والإنسانية تنسحب تدريجيا أمام هذا الغزو، فانهارت مع هذه الغريزة المادية أطر القيم الاجتماعية"⁽⁴⁰⁾.

ومع ازدياد هذه النزعة التي غيرت سلم القيم، كان لابد من إيجاد اسواق وأيد عاملة ومجالات تروي الضمأ المالي فتحولت: "إلى أخطبوط يضاعف بصورة هائلة شهوة الإنسان إلى المادة فهي تملي عاى الطفل إتجاهه في الحياة بحيث لا يختار طريقة فيها إلا وقد وضع نصب عينه ما يأخذ من المجتمع ما لا يعطي، أنه يبحث عن حظه لاعن رسالته، وتلك طريقة جيدة لإعداد مدير المستقبل في المستعمرات"⁽⁴¹⁾.



إن الماكينة الأوروبية أدارت في دواليها جميع القيم والأخلاق لخدمة الأرقام التي يجتهد الأوروبي في أن تكون كبيرة على قدر غروره: فما أعجب منطق الألة تدور الماكينة وتقدم لها المستعمرات المادة الأولية واليد العاملة بثمن بخس⁽⁴²⁾.

وهكذا حمل معه الأوروبي الجشع والكبرياء حيثما حل، ويمكن ملاحظة أهمية العامل الإقتصادي لتوضيح النفسية الإستعمارية فهو إقتصاد عبودي، ويعطي بن نبي مثالا لهذا بمؤتمر الفرق التجارية بمرسيليا عام 1955 الذي قال: "إن فرنسا تعيش من خيرات إفريقيا وتعمل لها يومين في الأسبوع"⁽⁴³⁾.

هكذا أشربت هذه الروحية الإستعمارية حب التملك والحكم الإقتصادي، وتغير سلم القيم كما يقول بن نبي إلى ميزان مرجوح لا يميل إلا حيث تتحقق النفعية الإنجليزية والتلهفية الفرنسية والبرغماتية الأمريكية.

وخير دليل على ذلك قضية تحرير العبيد في القرن التاسع عشر، فإنها لم تشر إلا بعد اعتماد فعالية البخار والماكينة في الإقتصاد وبالتالي الاستغناء عن سواعد وعضلات السود.

فبعدها كانت أساطيل بريطانيا واسبانيا مسخرة لنقل الملايين من العبيد في ليلة مضلمة تبتدأ من موانئ إفريقيا الغربية لتصل إلى شرق أمريكا بعدما يقذف نصف العبيد المرضى والموتى في مياه الأطلنطي لاسماك القرشي، وكأنهم عرائس تقدم قربانا للبحر الغاضب.

إنها النزعة الكمية التي جعلت أمريكا تستهلك لوحدها في مائة عام مقدار ما استهلكته البشرية طوال حياتها، ثم تمتنع بعد ذلك من التوقيع على معاهدة كيوتو البيئية، ثم هاهي تضرب الشرعية الدولية المعلقة وتدق المسامير في نعش الأمم



المتحدة في احتلال العراق للإمساك بموارد الطاقة وللاستجابة إلى نزعتها الكمية الرقمية اللامتناهية.

5- الآثار التخريبية للاستعمار على الغرب :

وهي في غالبيتها تعود إلى انهيار سلم القيم الإنسانية ويمكن إجمالها فيما يلي :

1 - العلمية المخربة :

فالاستعمار لا يستطيع السيطرة على العالم مدداً متطولة في المجالات الحيوية الكثيرة لولا إخضاعه خططه ووسائله امناهج العلم، فهو لم يتمكن من رقاب المستعمرين إلا بعد دراسة النفسيات ودراسة المجتمعات والتراث في مختبرات تقوم أعمالها على علم نفس والإجتماع لمراقبة الأفكار ومواجهة الخطير منها فهناك مختبرات متخصصة في الكيمياء السياسية وأخرى في التراث الثقافي، ولا ننسى هنا حركة الإستشراق وكراسي الدراسات الإستعمارية ونشوء علم الإنترولوجيا.

إن لهذا الإستبداد بشؤون المستعمرات مجامع علمية تتبناه وتقوم على دراسته وتوجيهه كمدرسة العلوم الإستعمارية بباريس⁽⁴⁴⁾، كما يجدر بنا أن نذكر بأن أساتذة الإستشراق كانوا مستشارين لدى الحكومات الأوروبية في القضايا الإستعمارية مثل ماسينيون الذي اهتم بدراسة التصوف الفلسفي وبالحلاج خصوصاً⁽⁴⁵⁾.

وعلمية الاستعمار هي التي تجعله يغير وسائله وخططه للإمساك بخناق المستعمر كلما تطلب الموقف ذلك وهو يستفيد من النقد ويعمل على تعديل الخطط حسب المعركة القائمة وقد وضع مالك بن نبي هذا الأمر وفصله في كتابه الصراع الفكري في البلاد المستعمرة⁽⁴⁶⁾.

2-العنصرية الإرثادية.



إن البحث والاهتمام الإستراتيجي بالغريزة الإستعمارية سواء لدى أوروبا القديمة أو الحديثة يؤكد لدينا أن فقدان المقاييس الأخلاقية في فترات من تاريخ أوروبا هو الذي ولّد النزعة العنصرية المتعالية نوهي العنصرية التي ارتدت على أوروبا فأحرقتها في حربين مدمرتين.

يقول مالك بن نبي موضحا هذا: "بأن أوروبا التي استطاعت خلال قرنين من الزمان أن تتحكم في موارد العالم قد وضعت هذه الموارد تحت النظام الأوروبي.... فقد أحدثت في العالم المحتضر تفرقة بين الأخلاق والسياسة، ثم كانت هذه التفرقة بين الرجل الأبيض والرجل الملون"⁽⁴⁷⁾.

وجلّ النظريات العنصرية التي جعلت من الجنس الأبيض سيّدا ومسؤولا عن غيره مرة باسم الإستعمار ومرة باسم الوصاية أو الإنتداب أو الحماية قد بررت الواقع الإستعماري وبنّت السياسة على هذا المقياس: فبسبب أوتوماتيكية داخلية وبسبب فكرة مسيطرة أليا، مازالت المشاكل الإنسانية في الغرب ترد دائما ولا شعوريا إلى خصومة عنيدة بين الأحناس.⁽⁴⁸⁾

هذه العنصرية هي التي تنتج لاشعورا متحكما يجعل من المستعمر قاصرا عن إدارة نفسه وشؤونه .

ويمكن إدراك هذا التعالي في التقسيم الإستعماري للتراث المكون خاج الأطر الحضارية لأوروبا، فهو يتجاهل بهذا التعالي غيره إذ أن الفرد الأوروبي كما يقول بن نبي: " يحمل جرائم هذا الكبرياء دائما لأنه يتلقاها من الجو الأمومي الذي يتكون فيه من الطفولة فهو يعتقد على وجه الخصوص أن التاريخ والحضارة يبتدان من أثينا ويمران على روما، ثم يختفيان فجأة من الوجود لمدة الف سنة ثم يظهران من جديد



أ. عبد الحليم بيوشي

بباريس في حركة النهضة أمقابل أثينا فليس شئ يذكر في نفس هذا الفرد الذي لا يرى بين ارسطو وديكارت إلا الفراغ⁽⁴⁹⁾.

ولذلك فإن معالجة أوروبا لمشاكلها مغايرة لمعالجة العالم الآخر، ومأساة العالم في القرن الأخير مرتبطة بهذا الإخفاق المرتبط بنفسية العالم الإستعماري: فإذا بنظرته الى ماهو أوروبي يختلف عما ليس كذلك فهو يرى بصورة طبيعية مشاكل أوروبا ورجالها، أما حين ينظر إلى مشاكل الشعوب الأخرى فإنه يضع نظارة على عينيه وإذا بهذه النظارة غير المباشرة لا تتصل بقيم الأخلاق ولا بقيم السياسة⁽⁵⁰⁾.

3- التمويه والتزوير.

إن سيطرة النزعة الأبوية في العقل الإستعماري تقوده إلى اختلاق مشكلات ومغالطات لإدامة سيطرته على القاصرين -المستعمرين- فتقلب المفاهيم ويتستر الإستعمار الوحيد والمشارك تحت أسماء عديدة مثل الوصاية والحماية والإنتداب وتضيع الحقوق في تلاعبات داخل قصور الكبار، وبذلك تتقلب القواعد شواذاً، فهي الفوضى الإستعمارية التي تحدث: "تبلبل المفاهيم وتزييف الواقع وتذبذب الكلام، ولكن الذروة في هذا كله نبلغها عندما يحاول الإستعمار تعقيد الأشياء التي سلب قواعدها وصيرها شواذاً لا تتصل بقاعدة"⁽⁵¹⁾.

إنه التمويه والتزوير للحقائق للإمساك بطرائد أكثر وصيد أوفر وهو الكذب والتمويه هو الذي سيجر الدول الأوروبية إلى الكيد لبعضها بحجة القسمة الضيزى للكعكة المستعمرة. ولتا أن نذكر بأن البابا تدخل بكل قداسته للفصل بين اسبانيا والبرتغال حيث قسم العالم بينهما تجنباً لحرب أوروبية سنة 1593- عاماً بعد سقوط غرناطة واكتشاف أمريكا- إلا أن تلك القداسة البيضاء تلتخت وتلوثت بدماء الملايين من الهنود الحمر الذين قضوا بشريهم مياه الأنهار العذراء التي سمّمها الإسبان، ولتسلمهم المساعدات الإنسانية الحاملة لأمراض الجدري التي أعطاها إياهم الإنجليز؟.



ويمكن مشاهدة مثل هذا الجرم التاريخي عند قدوم فرنسا إلى الجزائر بادعاء نشر الحضارة بين قوم همج وقراصنة، وقد تكلموا في كل مقام بلسان: "قالوا لشعبهم أنهم ينتقمون لشرفه المهان فأيد وتحمس، وقالوا للبابا أنهم سيرفعون الصليب ويخفضون الهلال في الجزائر فبارك ودعا ربه بالنصر، وقالو لأروبا الاقتصادية أنهم سيقضون على القراصنة ويفرضون حرية التجارة فاطمأن قلبها وسال لعباها، وقالو للجزائريين أنهم سيحرروهم من النير التركي" (52).

إن الاستعمار لا يغتصب ويخرب فقط ولكنه يعمد إلى تزوير الواقع وإيقاع الجريمة دون شاهد أو رقيب، كما يعمد إلى تغييب الحقائق، فحين قدم رئيس الوزراء فرنسا إلى الجمعية الوطنية عند عودته من الجزائر قال: "إن هذه الحال في الواقع مريضة واهنة لأن الإقتصاد الإسلامي قد ترك موارده تافهة لهذه الشعوب. ويعلق بن نبي على هذا المسلك الكاذب فيقول: إذن فليس هو الإقتصاد الاستعماري الذي أحدث أثره الهدام منذ عام 1830" (53).

إن مهارة الاستعمار في تعيير الحقائق أمر في غاية الغرابة وهو في هذا يلعب دور الحاضن: وليس مفهوم الحماية في العرف الدولي الخاص في عهد الاستعمار إلامتدادا لمفهوم الحضانة في العرف الشخصي، مهما يكن في هذا الأمتداد من تعسف نحو حقوق الشعوب المستعمرة (54).

ولذلك وقائع كثيرة أبرزها احتلال الجزائر أو وضع تونس تحت الحماية أو الإنتداب على فلسطين كما أنه لمن المهارة أن يضيفي الاستعمار على عمليات الاستغلال والقرصنة ألقبا رنانة مثل: رسالة تحضير.

ويمكن أن تشاهد تجليات هذه العناصر في ازدواجية الاستعمار في التعامل كما ذكرنا مع المشاكل. فالفاصل ليس هو القانون أو المبدأ ولكن المصلحة التي تضمن إنجاز المخططات الاستعمارية التي تتضمن فيما بينها تحت لواء الميثاق الاستعماري فالمشكلة



أ. عبد الحليم بيشي

إذن يفصل فيها لا طيقا للقوانين بل لمصالح محددة هي مصالح الحلف الاستعماري المشترك.

وهكذا فإن هذه النشأة الاستعمارية بهذه الخصائص قد أورثت أوروبا ما يلي :

- سيطرة نزعة أسطورية علمية في نفس الوقت، وهي سيادة الرجل الأبيض ولهذه النزعة حمايتها ومدارسها ونظريتها.

- تولد نزعة قومية مغالية متعالية تدعمها فلسفة تفتح الباب على مصراعيه للنظريات الأبوية .

- الإعتماد على الاستعمار بكل أشكاله وخلق نفسيات وعادات وتقاليد تكون أساسا لسياسة العالم بهذه الموازين المرجوحة .

- الإعتماد على معطيات العلم والفلسفة لتبرير هذا الواقع مثل الأخلاق النسبية، وغياب الفضيلة المطلقة، ولذلك يجد الاستعمار علما وفلسفة تبرره.

- فقدان العدالة واحترام القانون ودفع الغير ودعا لولوج نفق الظلمات، لسيطرة هذه العنصرية الفعالة على العقل الغربي.

- إشاعة الكسل المادي والفكري لسهولة الحياة الاستعمارية: فقد أدت به السهولة التي جرت عليها الحياة الاستعمارية إلى إنسانته كليا جهده بما في ذلك الجهد الفردي، حتى أن طائفة المستعمرين بالجزائر وهي تقارب مليون من الأنفس لا يبلغ جهدها الفكري قدر ما يبلغه جهد مدينة صغيرة في فرنسا⁽⁵⁵⁾.

كما أورثت هذه الخصائص وهذا الإستبداد العالم الإسلامي مايلي :

- إن الاستعمار عنصر أساسي في فوضاالعالم الإسلامي .

- التدخل لإفساد العلاقات بين المسلمين وفي تفاصيل الحياة اليومية .

- طبع البلاد بطبع محلي خادع والقضاء على كل مقاومة تعوقه.

- إنشاء أنظمة للأفساد والتخريب وإعتماد التلويث الأخلاقي والإفقار الإقتصادي .



-مراقبة حركات النهضة وكل خارج على النمط الموجود.

ورحم الله الإمام البشير الإبراهيمي الذي قال يصف الاستعمار الذي جعله من الكلمات المظلومة: " أما والله لو أن هذا الهيكل المسمى بالإستعمار كان حيوانا لكان من حيوانات الأساطير بالف فم للالتهام، وألف معدة للهضم ، وألف يد للخنق، وألف ظلف للدوس، وألف مخلب للفرس، وألف ناب للتمزيق ، وألف لسان للكذب وتزيين هذه الأعمال ، ولكان مع ذلك هائجا بادي السوءات والمفاتيح على أ سوا ما نعرفه من الغرائز الحيوانية . سموا الإستعمار تخريبا- إذ لا تصح كلمة إستخراب في الإستعمال - لأنه يخرب الأوطان والأديان والعقول والأفكار، ويهدم القيم والمقامات والمقومات والقوميات "

6-الغرب من قانون احتكار الرأية إلى احتكار السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل:

وهكذا فإننا نشهد عند استقراء التاريخ والفلسفة والإقتصاد أن الطبيعة الصراعية هي جوهر النفسية الغربية التي لا تطل على غيرها إلا بالاستعمار والابتلاع والاستغلال، وعليه فإن التنافس والصراع هو اللسان الأكثر نطقا في التاريخ الغربي، فمنذ العهود الرومانية والإغريقية وتحطيم قرطاجة والشرق، إلى العهود الصليبية وإكراه الناس على الدخول في مملكة السماء إلى ظهور الاكتشافات الجغرافية حيث ساد قانون احتكار الرأية في البحار وتساعدت نعمة محاربة القرصنة الإسلامية، وكأن البحر خلق لأوروبا وحدها، ثم جاء العصر الحديث وبرز معه قانون احتكار السلاح النووي والكيمياوي والبيولوجي لدول معدودات . إن ذلك لا يفسره إلا الرغبة في إزاحة الحضارات الأخرى، لأن البقاء للأقوى بغض النظر عن أخلاقية هذا الاقوى، أليست تلك هي الرسالة المجنونة لنظرية صدام الحضارات؟، أبعد النموذج الأمريكي نحتاج إلى برهان؟.

الهوامش



- 1- حمدان خوجة : المرأة، تعريب محمد العربي الزيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 ص. 51
- 2- مالك بن نبي : مذكرات شاهد القرن ، ط2، الجزائر ، دار الفكر ، 1992، ص. 17
- 3 - راجع في سقوط قسنطينة : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ط1، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992. ج1 ص. 162
- 4- مالك بن نبي : شروط النهضة (من مقدمة عبد العزيز خالدي)، ط1، دمشق ، دار الفكر ، 1981، ص. 7،
- 5- ترجم هذا الكتاب عبد الصبور شاهين وطبع الكتاب بإشراف مالك بن نبي ذاته، تم ترجم الكتاب الأستاذ شعبان بركات ونشره بعنوان مستقبل الإسلام سنة 1955، كما قام بترجمته رمضان لاوند بعنوان نداء الإسلام ونشره في العراق.
- وقد امتنع مالك بن نبي من هذا وتبّه إلى خطورة هذا المسلكية واعتبره من ضروب الصراع الفكري الذي يظهر المؤلف في صورة تاجر يبيع أفكاره كبضاعة يغير طابعها من سوق لآخر.
- 6- يذكر ان هذا الكتاب هو أول محاولة من المؤلف للكتابة باللغة العربية ، في حين فإن عبد الصبور شاهين يؤكد أنه هو الذي ترجم الكتاب إلى العربية وأن اصول الترجمة عنده، أنظر مجلة الوحدة : حوار مع عبد الصبور شاهين ، العدد 431-18 سبتمبر إلى 4 أكتوبر 1989، ص. 25.
- 7- عمار طالي : مالك بن نبي والحضارة ، مجلة الثقافة ، العدد 18 سنة 1973، ص. 13
- 8- مالك بن نبي : في مهب المعركة ، ط1، الجزائر ، دار الفكر ، سنة 1991، ص. 23
- 9- المرجع السابق ، ص. 30
- 10- المرجع السابق ، ص. 30
- 11- غريغوار منصور مرشو: مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته، ط1، فرجينيا، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سنة، 1996، ص. 99
- 12- ديكرات [1596-1650] عالم رياضي فرنسي ، يعد اب الفلسفة الحديثة ، أقام فلسفته على الشك المنهجي ، من آثاره رسالة في المنهج نمبادئ الفلسفة ، تأملات في الفلسفة الأولى ، انفعالات



- النفس. أنظر: عبد المنعم الحفني ، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ط2، مصر ، مكتبة مدبولي ، سنة 1999 ج1 ص. 597
- 13- في مهيب المعركة ، ص. 32
- 14- في مهيب المعركة ، ص. 35..
- 15- كتابكيد على هذه المقولة أصدرت الولايات المتحدة خمسة وثلاثين فيتو ضد القضية الفلسطينية لصالح إسرائيل .
- 16- مالك بن نبي : فكرة الأفروآسيوية ط3، الجزائر ، دار الفكر ، 1992، ص. 41
- 17- مقدمات الاستتباع ، ص. 19
- 18- التوراة ، سفر التكوين ، الإصحاح التاسع ، ص. 11
- 19- أنظر: إشكالية التحيز ، رؤية معرفية ودعوة للاجتهد، تحرير عبد الوهاب المسيري، ط1، فرجينيا ، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سنة 1995، ص. 3
- 20 -خير مثال على هذا الحملة العسكرية التي قادتها أمريكا ضد العراق تحت شعار تحرير العراق .
- 21-أرسطو طاليس ، كتاب السياسة ، ترجمة أحمد لطفي السيد ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب سنة 1979، ص. 254
- 22- مونتسكيو [1689-1755] فيلسوف فرنسي من أتباع لوك ، ومن رواد التفسير الطبيعي والجغرافي لتفاوت الحضارات ، له : تأملات في اسباب عظمة الرومان وسقوطهم ، روح القوانين ، أنظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج2 ص. 1395
- 23 - إبراهيم عبد الله : المركزية الغربية ، إشكالية التكون والتمركز حول الذات ، ط1، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، 1997، ص. 235
- 24- هيغل [1770-1831] فيلسوف ألماني ، من أثاره فينومنولوجية العقل ، علم المنطق نروح المسيحية ومصيرها ، موسوعة العلوم الفلسفية. راجع موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج2 ص. 1496
- 25- إبراهيم عبد الله ، المرجع السابق ، ص. 236
- 26- هيغل : محاضرات في فلسفة التاريخ ، العقل في التاريخ ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، القاهرة ، دار الثقافة، 1986، ج1 ص. 189 .



- 27- جفري براون: الحضارة الأوروبية في القرن التاسع عشر، ص. 139
- 28- أحمد العماري: نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار، ط1، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997، ص. 27
- 29- مذكرات الطالب، ص. 217
- 30- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط5، دمشق، دار الفكر، 1986، ص. 30
- 31- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص. 123
- 32- في مهب المعركة، ص. 65
- 33- فكرة الأفروآسيوية: ص. 41
- 34- المرجع نفسه، ص. 44
- 35- وجهة العالم الإسلامي، ص. 123
- 36- المرجع السابق، ص. 36
- 37- بول كنيدي، سقوط القوى العظمى، ط1، القاهرة، منشورات دار سعاد الصباح، سنة 1995، ص. 53
- 38- المركنتلية: مذهب ساد أوروبا في القرنين 17 و18، يدور حول زيادة ثروة البلد وكنوزه بالتجارة الخارجية عن طريق البيع للأجانب أكثر مما يشتري منهم. أنظر المعجم السياسي، ترجمة أنطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة السورية، سنة 1994، ج2، ص. 242
- 39- سمير أمين، التمرکز الأوروبي ونحو نظرية للثقافة، منشورات موفم، سنة 1992، ص. 100
- 40- أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، ط1، بيروت، دار النفائس، سنة 1984، ص. 118
- 41- وجهة العالم الإسلامي، ص. 138
- 42- المرجع نفسه، ص. 119
- 43- الأفروآسيوية: ص. 48
- 44- وجهة العالم الإسلامي، ص. 100



- 45-الحلاج شخصية صوفية مشهورة، اشتهر بنظرية الحلول لبإلهية، من أثاره كتاب الطواسين الذي حققه ماسنيون، قتل الحلاج عقب محاكمة من قبل الفقهاء له سنة 309هـ ببغداد.
- 46 -مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دمشق، دار الفكر، سنة 1986ص.15
- 47-فكرة الأفروأسيوية، ص.20
- 48-المرجع الساق، ص.620
- 49-في مهب المعركة، ص.178-179
- 50-فكرة الأفروأسيوية، ص.20
- 51-في مهب المعركة، ص.54
- 52-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1ص.16
- 53-فكرة الأفر وأسيوية، ص.65
- 54-في مهب المعركة، ص.47
- 55-وجهة العالم الاسلامي، ص.124.